الأهرام

المصدر : الحياة

التاريخ : ٢٠ نوفمبر ١٩٩٩

انسحاب اسرائيلي من جنوب لبنان يؤسس لاقليم منفصل بواسطة لحد

سليم نصار *

■ قبل توقيع اتفاق «شرم الشيخ» بفترة قصيرة، استدعى ياسر عرفات رئيس الوفد المفاوض الدكتور صائب عريقات الى غزة، ليستوضحه عن العوائق التي تؤخر صدور اعلان البيان المشترك.

واخبره عريقات بأن رئيس الحكومة الاسرائيلية ايهود باراك يرفض استكمال قائمة المعتقلين وذلك بامتناعه عن اضافة خمسين اسماً من المساجين الفلسطينيين، مكتفياً باطلاق سراح مئتين فقط.

ومع ان وقائع ذلك الاجتماع المغلق ظلت مجهولة، إلا أن نتائجها كانت مرسومة على وجه عريقات بطريقة تشير الى طبيعة النقاش الحاد الذي جرى بينهما في الداخل. ذلك انه خرج مسرعاً من مكتب عرفات ثم طلب من السائق التوجه فوراً الى اريحا. ولكنه لم ينس اطلاق عبارات الامتعاض والاعتراض قبل ان يغادر المكان، مردداً انه لم يعد يحتمل تقديم المزيد من التنازلات السياسية... والمزيد من التراجع المهين.

بعد انقضاء فترة قصيرة على هذه الحادثة أصدر ابو عمار قراراً بتعيين ياسر عبد ربه، رئيساً للوفد الفلسطيني لمفاوضات الوضع النهائي، على أن يجري ذلك باشراف وتوجيه المرشد والوريث ابو مازن. ولقد تعرض هذا القرار لاجتهادات مختلفة، خصوصاً وان صائب عريقات لم يخسر مهمته كمفاوض بشأن المراحل الانتقالية الثلاث التي نص عليها اتفاق ايلول (سبتمبر). وفسر المراقبون هذه الخطوة بأنها خروج على قواعد احتكار المناصب الرئيسية التي تميزت بها «فتح» عن سائر المنظمات. وربما أراد عرفات من وراء اختيار ابن يافا لمثل هذه المهمة المستحيلة اعطاء الانطباع بان جميع الفلسطينيين، بمن فيهم جماعات الشتات والمخيمات يلتقون في المواقف المبدئية مع «فتح». وفي تفسير آخر يطرحه خصوم عرفات ما يشير الى وجود نية مبيتة من وراء منح عبد ربه اعباء مسؤولية تاريخية يعجز عن تحملها الديبلوماسيون المحترفون. وفي رأي هؤلاء ان رئيس السلطة الفلسطينية اختار رئيس منظمة صغيرة تدعى «فداء»، على اعتبار ان فشله لا يشكل إحراجاً للورقة التفاوضية الفلسطينية. كما وان نجاحه المستبعد لا يشكل اي خطر على دور عرفات المركزي.

تفسير الصحف الاسرائيلية يركز على اظهار الاسلوب الذي يتبعه ايهود باراك... وعلى محاولة تقليد معلمه ومكتشفه اسحق رابين الذي كان يفضل استخدام القنوات السرية في المفاوضات. والدليل على ذلك ان لقاءات أوسلو تمت وراء الكواليس وداخل الغرف المغلقة. من هنا القول إن اختيار سفير اسرائيل في الاردن عوديد اران، لرئاسة الوفد المفاوض مع الفلسطينيين، ليس اكثر من واجهة ديبلوماسية تخفي وراءها ضابطاً متقاعداً سبق له ان خدم في جهاز الأمن. ولقد تمت عملية الإنتقاء بموافقة ياسر عرفات، لأن الضابط جوزيف جينوسار هو شريك تجاري للمستشار المالي لأبي رئيس السلطة الفلسطينية. أي شريك خالد سلام (اسمه الأصلي محمد رشيد) المحتكر كل العمليات التجارية والصفقات التي تتم بين غزة وتل أبيب. ويبدو ان جينوسار فشل هو الآخر عبر قناة المفاوضات السرية، في اقناع عرفات بالموافقة على الإطار السياسي للحلول المقترحة. والثابت ان باراك اصر على ان تكون الخطوط الحمراء الأربعة التي أعلنها بعد فوزه في الانتخابات هي الدليل لمضمون المحادثات. وتتمثل النقاط الأربع بالثوابت التالية: لا عودة لحدود ما قبل عام ١٩٦٧... ولا لازالة المستوطنات في الضفة الغربية... لا للتخلي عن القدس الشرقية... ولا لنشر جيش اجنبي غربي نهر الأردن. ولكي يؤكد باراك حرصه على تنفيذ هذه الثوابت فقد طلب من السفير عوديد تسليم عبد ربه وثيقة مكتوبة تلخص هذه الشروط اضافة الى إيضاحات جديدة تتعلق بمصير المستوطنات، وموضوع اللاجئين. وتقول الوثيقة ان القسم الأكبر من الاسرائيليين الذين يقيمون حالياً في الضفة الغربية وغزة سيبقون تحت السيادة الاسرائيلية... وان لاجئي ١٩٤٨ (حوالى ٣ ملايين) لا يمكن القبول بعودتهم الى اسرائيل. وفي أفضل الأحوال تشير الوثيقة الى احتمال قبول عودة خمسين الف لاجئ من مخيمات لبنان، على ان يتم ذلك في اطار جمع شمل العائلات وخلال مدة لا تقل عن العشر سنوات. ومثل هذا الاجراء يقتضي التشاور مع اسرائيل لأن قرار العودة خاضع للرقابة، ولقدرة الدولة الفلسطينية على استيعاب هذه الأعداد اقتصادياً واجتماعياً. ويتوقع باراك ان تمارس الولايات المتحدة تأثيرها السياسي والمادي بهدف توطين اللاجئين في اماكن اقامتهم، وجمع الأموال الضخمة من أجل التعويض عليهم.

هذا الاسبوع فوجئ باراك برفض عرفات المصادقة على خرائط إعادة الانتشار العسكري، وانتقل من موضوع السلام المرحلي الى مفاوضات الوضع النهائي. وشدد في مطالبته على ضرورة انسحاب اسرائيل من القدس الشرقية، ومن منطقة ابو ديس بالتحديد، قبل التوقيع على اتفاق نهائي حول حجم الأراضي

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الفلسطينية. وكان من الطبيعي ان تخرج هذه الخطوة الوسيط الاميركي لان اسرائيل ربطت موضوع التقدم على جبهة الانسحابات بمسالة التقدم على جبهة المفاوضات النهائية. ومثل هذا التلازم المشروط سيؤدي حكماً الى شلل عملية السلام... والى إرباك الحكومة الاسرائيلية التي أوحت خلال المحادثات بان المقر المقبل لسفير الدولة الفلسطينية سيكون في ابو ديس وليس في القدس الشرقية. والمؤكد ان عرفات استغل وجود المبعوث الاميركي دنيس روس في المنطقة، لكي يرفض شروط الانسحاب الاسرائيلي، ويفجر العملية السلمية عن طريق افتعال ازمة كبرى يصعب على الرئيس كلينتون تجاهلها، خصوصاً وانه نكر الولايات المتحدة بمرجعية القرار ٢٤٢ وبان القدس الشرقية هي أرض محتلة ينطبق عليها القرار المذكور. ولقد فشل دنيس روس في حل الخلاف بين الجانبين لانه ابلغ باراك وعرفات بان واشنطن لا تستطيع اتخاذ القرارات الصعبة نيابة عن اسرائيل والسلطة الفلسطينية، ولكنه أعرب عن استعداد بلاده لتقديم الضمانات في حال اتفق الفريقان على اتخاذ قرارات مصيرية.

يتساءل المراقبون عن جدوى هذه الخطوة التكتيكية التي اقدم عليها ياسر عرفات في مواجهة باراك، وما إذا كان مطلب الحد الاقصى الفلسطيني سيؤدي الى الحصول على الحد الادنى؟!

صرح الرئيس كلينتون في تركيا بان الطرفين المختلفين سيباشران قريباً في إضفاء المرونة على مواقفهما المتشددة بحيث يقبل باراك بزيادة نسبة مساحة الدولة الفلسطينية مقابل تراجع ابو عمار عن المطالبة بتطبيق كامل القرار ٢٤٢. ومن المؤكد ان المستوطنين قادرون على منع رئيس الحكومة من تحقيق هذا المطلب، لان ذلك يجعل من اراضي الدولة الفلسطينية وحدة مترابطة جغرافياً، بعكس ما يخطط له الاسرائيليون. اي تقسيم الضفة الغربية الى خمسين جزيرة متباعدة، مبعثرة تحاصرها المستوطنات المسلحة، والطرق الالتفافية مع السيطرة الاسرائيلية الكاملة على المعابر والموانئ والمطارات. ويتوقع دنيس روس ان يؤدي انقطاع الحوار الاسرائيلي - الفلسطيني الى عقد قمة في الولايات المتحدة تجمع بين كلينتون وباراك وعرفات من أجل انقاذ المفاوضات. علماً بان المباحثات التي بدأت يوم الاثنين الاسبق، كانت تؤسس لعقد قمة ثلاثية مطلع العام المقبل في حال احرزت التقدم المطلوب.

في حال فشلت واشنطن في انقاذ المفاوضات على المسار الفلسطيني، فان باراك يستعد للانعطاف باتجاه الجنوب اللبناني لكي لا يخسر قوة اندفاع عملية السلام. ولقد شجعه وزير التعاون الاقليمي شمعون بيريز على الانسحاب الفوري دون انتظار تاريخ السابع من تموز (يوليو) سنة الفين، كما وعد الناخبين. وحجة بيريز ان جميع المساعي التي قام بها الوسطاء للتوصل الى تفاهم مع سورية قد فشلت. وان المؤسسة العسكرية اصبحت جاهزة لعرض البدائل الدفاعية. وفي تصوره ان النشاطات الجوية المكثفة تؤمن الغارات الانتقامية في حال واصلت المقاومة اللبنانية ضرب الجليل الاعلى بعد الانسحاب الى الحدود الدولية. ولقد نصح وزير الخارجية الفرنسي هوبير فيدرين بانسحاب القوات الاسرائيلية وانما في اطار اتفاق اقليمي مع دمشق، لا في اطار مواجهة او هدنة موقتة. كذلك اقترح نيلسون مانديلا اثناء زيارته للمنطقة، ولقائه مع رئيس الدولة الاسرائيلية عيزر وايزمان. وطرح نفسه كوسيط دولي رسمي مؤكداً ان كلينتون يعجز عن القيام بهذا الدور لان الاسد يعتبره منحازاً ونصيراً لاسرائيل. وقال ان الثقة التي اولاها اياه الاسد تمكنه من احراز اتفاق سلام خلال فترة قصيرة. ولما استشير الرئيس الاميركي بموضوع وساطة مانديلا، ادعى بان الظروف غير مواتية لان اسرائيل ترفض الانسحاب الى خط ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧. وهي تزعم ان الخط الأول للحدود تقرر في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠ بين الانتداب الفرنسي لسورية وبين الانتداب البريطاني في ارض فلسطين (اسرائيل لاحقاً). وفي عام ١٩٥٢ اصرت دمشق على المطالبة بخط وقف اطلاق النار، وبالوصول الى حدود المياه في اليرموك وطبريا ومنطقة مصب نهر الأردن شمال شرق سهل الحولة. وترى الوزيرة اولبرايت ان اساس الخلاف ينبع من مصطلحين متعارضين: اسرائيل تقول بالحدود الدولية.. وسورية تطالب بخطوط الرابع من حزيران. وبما ان اسرائيل ترفض تطبيق القرار ٢٤٢ على اساس الرجوع الى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧، فإن ما يسري على القدس الشرقية والضفة الغربية تريد تطبيقه على مرتفعات الجولات لئلا يتحول الى سابقة لمطالب مستقبلية للتنازل عن اراض احتلتها في الضفة وغزة.

المؤسستان العسكرية والسياسية اختلفتا على خطة الانسحاب من جنوب لبنان وموعد تنفيذها. والخطة كما اوجزتها الصحف الاسرائيلية تتلخص بانسحاب من طرف واحد في حال عدم التوصل الى اتفاق مع سورية. وبخلاف الخطط السابقة التي امنت الحماية لافراد «جيش لبنان الجنوبي» وعائلاتهم عن طريق بناء قرية صغيرة قرب الحدود... فإن ايهود باراك مصرّ على إبقاء قوات لحد في مواقعها. ولقد وعد بتوسيع رقعة نفوذها وتزويدها بالدبابات والمدرعات وابقاء المرشدين والمستشارين الاسرائيليين. وفي كل مرة يتعرض جيش لحد لصواريخ المقاومة اللبنانية لا بد من توفير مظلة جوية لحمايته. ويبدو ان بيريز ايد هذه الخطة بدليل انه طالب بالاسراع في تنفيذها، شرط ان تزداد الغارات الجوية وعمليات القصف. ولكن جهاز الأمن العسكري يعارض الانسحاب من طرف واحد، خصوصاً وان «حزب الله» سيصبح في حل من تفاهم نيسان، وسيركز ضرباته على قرى الجليل

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الأعلى، وهذا ما لمح اليه الرئيس الأسد اثناء استقباله وزير خارجية فرنسا فيدرين، وقوله «ان سورية لن تمنع اسرائيل من الانسحاب، لكن مشكلة المقاومة ستبقى قائمة في وجهها». لهذا السبب امتنع نائب باراك افرايم سنيه عن تأييد خطة الانسحاب من طرف واحد، محذراً من مغبة السقوط في الاوهام. وفي رايه ان تعزيز جيش لحد بمجندين جدد (٢٥٠٠ عنصر) لا يقيه من الأذى المتواصل، حتى لو استمر الطيران الحربي في تأمين مظلة الحماية. ويرى المراقبون ان ابقاء جيش لحد في خط الدفاع الاول يهدف الى تأجيج الخلافات الداخلية بين اللبنانيين... والى تحريك النعرات الطائفية التي ظهرت مؤشراتها في الاعتداءات المتواصلة على الكنائس. وفي تقدير ايهود باراك ان انطوان لحد قد يضطر الى اعلان الجنوب منطقة منفصلة عن الجمهورية اللبنانية، مثلما فعل تشومبي في اقليم كاتنغا عام ١٩٦٢. عندئذ تتدخل اسرائيل مع الدول الغربية لتوفير الظروف العسكرية التي وظفتها أميركا في كوسوفو. وهي تتخيل ان المناخ الدولي المهيمن على النظام الأمني الجديد يسمح لاسرائيل وللدول المعنية بسلامة المنطقة، بان تقلد روسيا في الشيشان، وتركيا في شمالي العراق. وفي ظل هذه التوقعات المتشائمة يطالب المسؤولون في لبنان بضرورة التصدي لمثل هذه المغامرات العسكرية، وذلك عن طريق تحصين الوحدة الوطنية، وتقوية الجبهة الداخلية، ومنع التدخلات الخارجية من احداث الارباك السياسي المطلوب او نسف مكاسب الوفاق!

* كاتب وصحافي لبنان.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية